" مشكلة الحرية في الفكر الغربى القديم وتطورها في الفكر الحديث والمعاصر"

"دراسة تحليلية نقدية مقارنة من خلال نماذج ممثلة"

د. هالة محمود سعيد حسن قابيل

دكتوراه في الفلسفة اليونانية "شعبة الفلسفة وتاريخها "

قسم الفلسفة - كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

مُقدمـة

إن المعايشـة الحقيقيـة لعـالم التفلسـف، لا تـأتى إلا مـن خـلال معايشـة مشـكلة مـن مشكلاته؛ ذلك أن كل مبحث فلسفى وأية أطروحة للتناول الفلسفى، تسمى مشكلة. فهل من سبيل للتعرف على عالم الفلسفة من تناول مشكلة معينة لنرى كيف ولماذا انشغلت بها أعاظم العقول؟

فى هذا البحث قد وقع الاختيار على (مشكلة الحرية)، بوصفها واحدة من أمهات المشاكل الفلسفية الكبرى، فهى مشكلة قديمة، بدأ الانشغال بها في رحاب الفلسفة اليونانية وهى الفلسفة الأم. وحتى الآن، وفى كل عصر، كانت – دائماً – تشغل الأذهان، وتستقطب اهتمام الفلاسفة أجمعين.

لاشك أن البحث في مشكلة الحرية قديم قِدم الإنسانية ذاتها، وهى من أقدم المشكلات الفلسفية التى واجهت الباحثين من قديم الزمان، وما برحت تؤرق مفكرى اليوم كما أرقت فلاسفة اليونان. نظراً لأنها مشكلة عويصة ومعقدة، وذلك لارتباطها بجوانب عديدةً علمية، وأخلاقية، واجتماعية، وسياسية، وميتافزيقية.

من ثم، فإن مشكلة الحرية لاتزال تتبوأ عرش المشكلات الفلسفية التى يعالجها الفكر الإنسانى منذ القدم، إنها – حقًّا – مشكلة الوجود الإنسانى برمته.

يكثر ذكر الحرية في هذا العصر أكثر من أى عصر مضى. والكل يتحدث عن الحرية، منظورا إليها من حيث اهتمامات كل متحدث ومصالحه : فنجد من يتحدث عن الحرية السياسية، وحرية الضمير، وحرية الشعوب، وحرية المرأة، وغيرها من أنواع الحريات المختلفة.

والتساؤل الذى يفرض نفسه في هذا السياق: "ما الدافع وراء الاهتمام بدراسة مشكلة الحرية بوصفها واحدة من أهم تحديات العصر الحديث؟"

- انتشار التعليم، حتى ليصبح حقا للجميع، وكثيرا ما تردد على أذهاننا ما يعرف بـ "حرية التعليم".
- ثورة الاتصالات التى جعلت كل فرد مدركاً لكامل حقوقه وحرياته المختلفة.
- ثورة الإعلام والميديا التى كثيرا ما يتداول فيها لفظ الحرية، لكن قلما نجد من يدرك خطورة هذا المصطلح، بحيث يتم استخدامه في بناء المجتمعات أو هدمها تحت هذا الشعار.

إشكالية الدراسة وتساؤلاتها

تحاول تلك الدراسة التعرف على مشكلة الحرية في الفكر الغربى القديم، وتطورها في الفكر الحديث والمعاصر، وذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات التى تُطرح في هذا البحث.

أما عن تساؤلات البحث فيمكن رصدها في الآتى :

- ما المفاهيم المختلفة للحرية، وما أنواع الحريات وضوابطها وحدودها؟
- كيف تجلت الحرية بأسمى صورها في بلاد اليونان ؟
- ما المبدأ الحقيقى لأفعال الإنسان؟ هل هو القدر أم النفس الإنسانية؟
- كيف عالج فلاسفة العصر الحديث مشكلة الحرية؟
- ما علة الصعوبة في ممارسة الحرية؟
- كيف يمكن النظر إلى الحرية من منظورات مختلفة : كالمنظور النفسى، أو المنظور الاجتماعى على سبيل المثال؟
- ما مدى ارتباط الحرية بالمسئولية والتبعات الناتجة عنها؟
- ما الرؤية المعاصرة لمشكلة الحرية، وكيفية تصحيح المنظور الخاطئ لها في سياق الحديث عن "سوء استخدام الحرية"؟
- ما الشروط الواجب توافرها لكى تتحقق الحرية أو يكون لها وجودً فعلىً؟

إذن، فكيف لا تكون الحرية مشكلة المشاكل، وهى سرّ الوجود الإنسانى، الذى هو، في صميمه، تأرجح بين الوجود والعدم.

أخيراً، ينبغى علينا، في هذا البحث، أن نعرض المضمون الأخلاقى لمفهوم الحرية، لأنه من المؤكد أن هذا المضمون لايكاد ينفصل عن المعنى الميتافزيقى لهذه الكلمة، ولكننا لانستطيع أن نجتزئ هذا المضمون الأخلاقى وحده، نظرا لأن موضوع الحرية لايقتصر على تحديد مسؤولية الإنسان، سواء من الناحية الأخلاقية أم من الناحية القانونية، كما أن غايته لاتقف عند تقرير شرعية التكليف أو تثبيت دعائم الثواب والعقاب، فالحرية ليست مجرد مفهوم أخلاقى، بل هى حقيقة ميتافزيقية لاسبيل إلى فهمها إلا في نطاق الوجود الإنسانى بأكمله.

على أية حال، يحاول هذا البحث معالجة مشكلة الحرية، ورؤية فلاسفة اليونان، بصددها وتطورها في الفكر الغربى الحديث والمعاصر، ومحاولة فهم عمقها الحقيقى وتصحيح بعض المفاهيم المغلوطة فيها.

أولاً - الحرية "إشكالية فلسفية" :

يعتبر هذا الموضوع من أهم الموضوعات الجديرة بالاهتمام والمناقشة، وليس هذا فحسب بل ينظر إليه باعتباره القاعدة الأساسية للحقوق الإنسانية، ألا وهى الحرية بوصفها الموضوع الأخلاقى الأكبر الذى تدور حوله الحقوق الإنسانية كافةٍ[١].

لعل الاهتمام بمشكلة الحرية لايتأتى – فقط – من الدور المحورى الذى احتلته في تاريخ الفكر الفلسفى وبنيته، بل يتأتى من كونها واحدة من مشكلات فلسفية قليلة تحطم جدران الأروقة الأكاديمية التخصصية، وتتجاوز أطر البحوث الاحترافية لتنساب في تيار الحياة الدافق.

على أية حال، إن الحرية مشكلة تائهة، أوراق اعتمادها ضائعة. فأية حرية من ألف حرية. هل هى حرية الإنسان أم الطبقة أم الأمة؟ هل هى حرية القبول والرفض أم الاختيار أم اتخاذ القرار؟ حرية الأنا بإزاء الآخرين، أم الذات بإزاء الموضوع أم الفرد بإزاء المجتمع.....؟[٢].

١- المفاهيم المختلفة للحرية:

- **الحرية بالمفهوم الفلسفى:**

إن لمفهوم الحرية استخداماً خاصًّاً في تاريخ الفكر الفلسفى، إذ تشير هذه الكلمة إلى الظروف الناشئة عن علاقة الإنسان بالإنسان، أو إلى الظروف الخاصة بالحياة الاجتماعية. بصفة عامة تتضمن هذه الكلمة معنى انعدام القسر الذى يمكن أن يفرضه إنسان على إنسان آخر. فالإنسان حر بقدر ما يتمكن من اختيار أهدافه، ونهج سلوكه، دون أن يرغم على أى عمل لم يختره لنفسه بوصفه كائنا عاقلا له إرادة حرة تصدر عنها أفعاله[٣].

الحرية بالمفهوم السياسى:

هى ممارسة الفرد لكافة حقوقه السياسية في المجتمع كحق الترشيح، وحق الانتخاب، وحق التمثيل في المجالس النيابية، وفى كل الأمور التى تتعلق بالسياسة والحكم بإدارة الدولة[٤].

---

(1) G.H.R.Parkinson, An Encyclopedia of philosophy, Associate Editors, T. E. Burke, J. G. Cottinghom, M. A. Proudfoot, J. E. Tiles, Routledge, 1988, p. 729.

(٢) يمنى طريف الخولى، الحرية الإنسانية والعلم، "مشكلة فلسفية"، ط١، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٩٠، ص ص ٥/٤٦.

(3) Paul Edwards, The Encyclopedia of Philosophy, Collier Macmillan, London New York, 1967, p.23.

(٤) حربى عباس عطيتو، مشكلات فلسفية، ص ٥٣.

وترى الباحثة أنه لكى نستطيع تصحيح المنظور الخاطئ للحرية، بصفة عامة، والحرية السياسية بصفة خاصة، لابد أنْ ندرك أن الحرية السياسية لاتعنى الفوضى أو الغوغاء، كما لاحظنا في الآونة الأخيرة، الخلط بين الحرية والفوضى على الرغم من أن الفارق بينهما كبير، فالحرية الحقيقية لاتكون مطلقة تتحكم فيها الأهواء والشهوات، أو الانفلات من كل الضوابط والقيود، ولكنها حرية مشروطة مقيدة بالاتجاه والأعراف السائدة في المجتمع.

وفقاً لما سبق، فالحرية هى عدوة الفوضى والاستبداد والاستعباد، وهى أساس تقدّم البشرية وتحقيق الخير والسعادة للإنسانية.

إذن "لا حياة للأمة بلا حرية، ولا حياة للحرية بلا فضيلة" كما يقول روسو. فالحرية حريتان: حرية كاذبة، وهى أن يفعل الإنسان ما يريد، والأخرى حقيقية، وهى أن يفعل الإنسان ما ينبغى عليه أن يفعله.

إذن، الحرية هى أثمن ما يملكه الإنسان ويسعى إلى تحقيقه، لأن حياته الإنسانية مرتبطة بالضرورات التى يتطلبها. وعلى رأس ذلك حريته[١].

- **الحرية بالمفهوم السيكولوجى:**

هى مقابل للاندفاع اللاشعورى أو اللامسؤولية الخلقية، وهى تعبر – أيضاً – عن حالة الشخص الذى لايُقدم على فعل إلا بعد التفكير فيه[٢].

فالحرية السيكولوجية تعنى الاستقلال التام عن سائر البواعث والمبررات الداخلية في ذاتنا، فالحرية تقوم على فكرة العِلِّية الشعورية، فنحن هنا إزاء حرية إيجابية، يصدر الفعل فيها عن ذات الإنسان، فهى حرية تلقائية تعبِّر عن قدرتنا على الخلق والإبداع[٣].

على أية حال، على الرغم من كثرة التعريفات المختلفة للحرية، دعونا نتفق على أن الحرية واقعة، إن لم تكن أكثر الوقائع وضوحاً وجلاء، فهذا الإنسان الذى يسعى جاهدا محاولا إثبات وجودها. إذن، الحرية هى إثبات للشخصية وتحقيق لوجود الإنسان الفعلى[٤].

---

(١) سليم ناصر بركات، مفهوم الحرية في الفكر العربى الحديث، ط٢، دار دمشق، بيروت، ١٩٨٤، ص ص ٢٦/٢٧.

(٢) جميل صليبا، المعجم الفلسفى، المجلد الأول، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ط ١٠، ص ٤٦٢.

(٣) حربى عباس، مرجع سابق، ص ٥٣/٥٦.

(٤) زكريا إبراهيم، مشكلة الحرية، مكتبة مصر، الفجالة، ط١، ١٩٥٧، ص ص ٢٢/٢٣.

٢- أنواع الحريات:

لاشك أن للحرية أنواعا مختلفة كل منها يحتل مكانة خاصة كحرية الضمير على سبيل المثال، وغيرها من أنواع الحريات الأخرى[١].

نذكر من أنواع الحريات ما يلى :

- **حرية الضمير:**

تعتبر مشكلة الحرية، في صميمها، مشكلة أخلاقية، لأن مصدرها هو الضمير، فذلك هو الذى يفصل بين الخير والشر، والجمال والقبح، فهذه – جميعها – قيم إنسانية أصيلة[٢].

يضعنا الحديث عن حرية الضمير في دائرة واسعة لاتتم إلا بإصلاح الفكر، وإصلاح التعليم، وإصلاح الحياة والدين، والربط بين المعارف والأفعال.

فإذا كانت الأهواء صوت الجسد، والعاطفة لغة اللاوعى، فإن الضمير هو صوت الروح وقاعدة العقل ومبدأ الذهن وهو – أيضاً – الصوت السماوى الخالد الذى يفرق بين الخير والشر، فتظهر ما في طبيعته من سمو، وما في أفعاله من خيرية. فالضمير هو استعداد نفسى للتمييز بين الحسن والقبيح.

فحرية الضمير هى العمل بما يوحى إليه الضمير أو الشعور بالحرية في اعتناق بعض الآراء والمعتقدات،وإمكانية التّخلى عنها والانتقال إلى تبنِّى آراء وأفكار جديدة[٣].

- **حرية الرأى والتعبير:**

هى حق الإنسان في التعبير عن آرائه وأفكاره في إطار القيم والأخلاق. والجدير بالملاحظة أن حرية الرأى لاينبغى أن تكون مطلقة، ولكنها – في العادة– تخضع لقيود مثلما في حالات التشهير، والفحش، والتحريض على ارتكاب الجرائم.

يصاحب حرية الرأى والتعبير بعض أنواع الحريات الأخرى مثل : حرية العبادة، وحرية الصحافة على سبيل المثال[٤].

---

(1) G.H.R.Parkinson, op.cit, p.730.

(٢) سليم ناصر بركات، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٣) زهير الخويلدى، الحوار المتمدن، الحرية بين المعتقد والضمير "مقاربة فلسفية، ٢٠١٤/٢/٨.

(4) Charlene Li, Josh Bernofff, Groundswell expanded and revised edition winning in a World Transformed by Social Technologies, U. S. A., 2011, pp. 288/289.

- **حرية الإعلام:**

يعتبر الاعلام والسوشيال ميديا من أهم، بل وأسرع، طريقة لنقل الأفكار والمعلومات في العصر الحديث. وذلك نظراً لأنه لايتطلب مجهودا يذكر من جانب المستمع أو المشاهد.

لذلك فإن هذا النوع من الحرية يوصف بأنه من أخطر أنواع الحريات نتيجة لخطورته وأهميته البالغة في التأثير في أكبر عدد ممكن من الناس.

وبالتالى، لكى يكون للإعلام رسالة هادفة وإيجابية، لابد ألا نتغافل القيم الدينية، والعادات الشرقية والحضارية، ومحاولة الالتزام بالمواثيق الأخلاقية والإعلامية الجادة[١].

٣- حدود الحرية وضوابطها:

التساؤل الذى يطرح نفسه في هذا الصدد هو "هل الحرية محدودة، أم هى مطلقة؟"

تتضمن الإجابة عن هذا التساؤل في اعتبار الحرية الحقيقية هى حرية مقيدة إلى حد ما، ولكنه في الوقت نفسه، لا يمثل ذلك قيدا على ممارسة الحرية،لأن الحرية الحقيقية مقيدة بقيود إنسانية وأخلاقية رفيعة.

فالحرية قيمة إنسانية وأخلاقية سامية، متى أضرت بحياة الإنسان وبحقوقه الإنسانية، انقلبت إلى ضدها، وبالتالى لاتصبح حرية، بل شئ آخر منتج للعبودية والفوضى.

فالحرية لاتكون حرية إلا إذا كانت أخلاقية في المقام الأول والأخير.

إذن، لاتوجد حرية مطلقة للإنسان، فحريته مقيدة بضوابط دينية وأخلاقية تتلاءم مع طبيعة المجتمع الذى يعيش فيه[٢].

على الرغم من حديثنا عن قيود للحرية إلا أننا لاننكر وجود الإرادة الحرة والقدرة على اختيار الأشياء والتى يعقبها المسؤولية، فإن لم يكن الشخص حر الإرادة، فلا مسؤولية تقع عليه، وإن لم يكن حراً، فكيف يلتزم بوصايا الله؟

أما عن ضوابط الحرية فأهم ما يشترط فيها هو الالتزام بالعقائد، وعدم المساس بالديانات أيا كان نوعها.

---

(١) محمد عبد الوهاب خفاجى وآخرون، حقوق الإنسان، دار الكتب، ط٢، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص ص ٣٣٣/٣٣٦.

(٢) كون ايغور، معجم علم الأخلاق، ترجمة توفيق سلوم، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٤، ص ١٧٧.

ويشترط فيها – أيضاً – مراعاة حرية الآخرين على ألا تجور أو تنتهك الحرية الشخصية أى حرية أخرى[1].

ثانياً - تصور الحرية في الفكر الغربى القديم "أفلاطون وأرسطو أنموذجاً" :

لقد ذكرنا من قبل، أن مشكلة الحرية قديمة قدم الفكر الفلسفى ذاته. وتجدر الإشارة – هنا – إلى أن مشكلة الحرية تعالج من خلال فكرة الضرورة، وبالتالى فإن فكرة الضرورة تفترض فكرة الحرية فلا معنى للقول بضرورة لا يقابلها شعور واضح بالحرية، وإنه من غير المعقول أن يشعر إنسان بما يحكمه من ضرورة وقدر يهددانه دون أن يكون لديه، في الوقت نفسه، شعور واضح بالحرية.

لقد كانت الضرورة، في الفكر اليونانى، ولاسيما عند أفلاطون بمثابة إلهة تحتل مركز العالم، كما وردت فكرة الضرورة عند أفلاطون التى تجعل الكون يدور حول محور من الضرورة.

لقد طرحنا تساؤلا في بداية هذا البحث وهو "كيف تجلّت الحرية بأسمى صورها في بلاد اليونان؟" تكمن الإجابة عن هذا التساؤل في تصور فلاسفة اليونان للحرية، وعلى رأسهم سقراط، الذى ذهب إلى أن "الفضيلة علم والرذيلة جهل"، ومعنى ذلك أن الإنسان إذا عرف – بوضوح – ما يجب فعله حتما أو بالضرورة لأصبح إنساناً فاضلاً، فالشرير يقدم على فعل الشر لجهله بطريق الخير، ولو عرف ذلك لما سلك سبيله.

وبذلك وحّد سقراط بين العلم والعمل أو المعرفة والفضيلة[2]. أما أفلاطون فقد آمن، إيماناً قوياً، بوجود عناية إلهية تشمل الكون كله، إذ نظر إلى الإله على أنّه العلة التى تقف خلف كل الأحداث التى تجرى في الوجود، "فهو الذى يمسك بيديه – كما قال أفلاطون– أول ونهاية ووسط كل الكائنات، ويمضى قدماً إلى هدفه في مملكة الكون تسير إلى جانبه آلهة الحق دائماً..إنه – وحده – الذى يعتبر "مقياس الأشياء جميعاً"، منه يستمد كل شئ يتصف بالخير، إنه شمس العالم وأساس المعرفة اليقينية.

لقد تحدث أفلاطون عن حرية الفعل الإنسانى في عالمنا المحسوس، فقد اعتبر أن الإنسان حر في أفعاله بالنسبة إلى ما يسود عالمه المحسوس من ضرورة افتراضية غير صارمة، وإن كان أفلاطون قد ضيق من هذا الحيز بعض الشئ عندما ربط أحداث هذا العالم ومسار الكون كله بعملية السعى نحو مثال الخير.

---

(1) Concise Routledge Encyclopedia of Philosophy, Routledge, London and New York, first published, 2000, p.295.

(٢) حربى عباس، مرجع سابق، ص ٥٦.

يسلم أفلاطون بشئ من حرية الفعل الإنسانى، لأنه يسلّم بأن المادة من الممكن أن تقاوم – بسبب طبيعتها العنيدة – توجيه العقل الإلهى المفروض عليها. ولما كان الإنسان يتألف من نفس وجسم، فإن بإمكانه أن يستجيب أو أن يرفض التوجيه الإلهى.

إذن، لا يكون الإنسان خاضعا للتوجيه الإلهى في نظر أفلاطون، بل قد ينجح الإنسان – أحياناً– بسبب طبيعة جسمه المقاومة للنظام في أن يفعل أفعالا مخالفة لهذا التوجيه الإلهى، ويكون مسئولاً عنها. وبالتالى يعاقب عليها. فلم تكن الإرادة مطلقة لدى أفلاطون، بل مقيدة ومحدودة بقدرات المادة وطبيعتها. حقاً إرادة الإنسان تهدف إلى تحقيق الخير قدر الإمكان، لكنها – أحياناً – ما تعجز – تحت ضغط شهوات الجسم – عن إتمام مهمتها.

وللتعليق على منظور أفلاطون للحرية نجد أنه قد تمسك بالنزعة العقلية الصارمة، فقد نظر إلى البشر على أنهم عقول فحسب، وتجاهل النصف الآخر الذى يتألف منه الإنسان وهو الشهوة. كما يؤخذ عليه أنه قصر الحرية على المعرفة وحياة العقل. فضلاً عن أن الحرية العقلية لاتغطى كل مجالات الحياة العملية.وترتب على ذلك فشله في إدخال الإرادة كعامل مستقل في الفعل الإنسانى[١].

أما أرسطو فلم تكن الحرية – عنده – شيئاً غامضاً أو مبهماً، ولكنها قريبة ومألوفة لكل إنسان بوصفها نزعة إرادية واختيارية[٢].

تعتبر فكرة الحرية، عند أرسطو، فكرة مركزية في الفكر الاجتماعى اليونانى وقد كانت مقتصرة على اليونانى الحر، بل كانت الحرية هى التى تميز اليونانى والبربرى، فقد كان يعد بربرياً كل من لم يكن يونانياً[٣].

يرى أرسطو أن كل اختيار، أى كل فعل إرادى حر، يتضمن مداولة ينحصر في المجالات التى تتعلق بنا، وتخضع لتأثيرنا المباشر. فنحن نلجأ إلى المداولة بخصوص المسائل التى ننجزها بأنفسنا على نحو مختلف.

---

(١) محمود مراد، الحرية في الفلسفة اليونانية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الصفحات: ١٦٤/١٦٦/١٦٨/١٩٥.

(2) T.D.J.Chappell, Aristotle and Augustine on Freedom {Two Theories of Freedom, voluntary Action and Akrasia} first published in Great Britain 1995 by Macmillan press Ltd, United States of America, New York,1995,p.3.

(3) Goldberg Robert, Democracy and Justice in Aristotle's Politics, University of Toronto, 1990, p.26.

أما الإنسان، في نظر أرسطو، فهو مبدأ أفعاله، وبصفة خاصة الجزء السامى منه، وهو الذهن الذى يختار بين عدة امكانيات. وفى ذلك يكمن أساس الأخلاقية، أى شرط إمكان التقويم الأخلاقى[١].

يمكننا القول، من خلال نظرة أرسطو للحرية، بأن المستقبل لاتوجد عليه أحكام يمكن أن نقول عنها إنها حقيقية أو أحكام يمكن أن نقول عنها إنها خاطئة.

إذن، فالمستقبل، عند أرسطو، ليس محدداً بل هو إمكانية مفتوحة، ومن ثَّم، لايمكن أن نتنبأ بها، إنها حرية خالصة، كما أنها إمكانية يمكن أن تحدث وألا تحدث[٢].

والجدير بالملاحظة أن أرسطو قد اعتبر أن الفضيلة من أهم شروط تحقيق الحرية والعدالة، لأنهما السبيل الوحيد لبلوغ الغايات التى – من أجلها – تقوم الدولة[٣].

قد أكد أرسطو – أيضاً – أن انضباط الفرد بمجموعة من القيم والفضائل تحول دون تطرفه السلوكى. وهما – في الوقت نفسه – أساس لخلق مجتمع يتحقق فيه الحرية والعدالة[٤].

أما مشكلة الحرية، في الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، فقد حاول كثير من المفكرين المسيحيين أن يوفّقوا بين القول بأن للإنسان حرية اختيارية، تترتب عليها مسؤولية عن محبة الخير أو كراهيته، وبين القول بأن الإنسان عاجز – بذاته – عن تحقيق الخير، نظرا لفساد طبيعته وانصرافه إلى الشر، لولا لطف الله وعنايته.

إذن، المشكلة، التى شغلت بال فلاسفة المسيحية، هى التوفيق بين الإرادة الإنسانية والنعمة الإلهية باعتبار أن حبنا لله وليد حب الله لنا، وفى الوقت نفسه، بأن حبنا حر، وأننا لا نكون أحراراً حقاً إلا حينما نعمل على أن تنحدر إرادتنا – فعلاً – بإرادة الله الحرة، يبدو أن ثمة عنصرا لاهوتيا جعل هذه المسألة أكثر تعقيداً وهى مشكلة الانتخاب وهى تقوم على القول بأن الله قد سبق فاختار قوما لمصير أبدى سعيد، وسبق فانتبذ قوما آخرين محدداً لهم مصيرا أبديا شقيا، والاختلاف شاسع بين المصيرين، والجدير بالذكر أن بعض مفكرى المسيحية فسروا هذا الاختلاف بما لدى كل منا من حرية الإرادة، فالأصل – هنا – هو

---

(١) نبيهه قاره، الحتمية والحرية بين الميتافزيقا والحياة، مركز النشر الجامعى، الجمهورية التونسية، ٢٠٠٣، ص ص ٧٣/٧٤.

(٢) حربى عباس، مرجع سابق، ص ٥٨.

(3) Martin, Thomas, Democracy in The Politics of Aristotle, Cambridge University press, 2003, p.8.

(4) Benoit Smullyan, History of Political Theory, Part 1 – Plato to Locke, Hymarx, Student Outlines Company, Boston, p.22.

"الاختيار". والله يختار قوما يكتب لهم الخلاص، وهذا فعل أزلى من الله، سابق على خلق الإنسان، هكذا ينتهى أنصار هذا الرأى إلى القضاء على الحرية، فضلاً عن أنهم يقعون في خطأ حينما يتصورون الحب الإلهى على أنه لطف تعسفى، أو نعمة تحكمية مقتصرة على عدد محدود من البشر.

حاول القديس توما الاكوينى أن يقدم صورة معقولة عن الحرية. فقد خلص إلى أن الشئ الوحيد الذى يلزم الإرادة هو الخير المطلق أو السعادة القصوى، ذلك لأن الإرادة بمجرد ما تمارس نشاطها، فإن ثمة شيئا لابد أن تريده بالضرورة. ذلك هو الخير المطلق الذى يشبع صورتها اللامتناهية.

هكذا ينتهى القديس توما الاكوينى إلى القول بأن حريتنا تنحصر في سيطرتنا على أحكامنا، وسيطرتنا على أحكامنا تنحصر في سيطرتنا على انتباهنا[١].

وللإجابة عن التساؤل، الذى تم طرحه في تساؤلات البحث وهو "ما المبدأ الحقيقى لأفعال الإنسان؟" والإجابة في هذا الصدد تتضمن أن المبدأ الحقيقى لأفعال الإنسان هو النفس الإنسانية وليس القدر، لأن النفس حرة حينما تتبع دليلها وهو العقل، فليست المصادفة ولا القدر مبدأ الأشياء وإنما العناية[٢].

ثالثاً - مشكلة الحرية في العصر الحديث والمعاصر:

احتلت مشكلة الحرية مكانة كبيرة في العصر الحديث، وعلى رأس فلاسفة العصر الحديث "ديكارت"، فقد اعتبر أن الحرية هى التى تخلص الإنسان من حالة العبودية. والحرية الإنسانية، عند ديكارت، مستمدة من الحرية الإلهية، وهى التى تميز أفعاله الاختيارية، ومن ثم يجب على الإنسان أن يوجهها إلى ما يحقق نفعه.

قد أشار ديكارت، في هذا الصدد، إلى أن العلة الحقيقية، التى يكمن وراءها سوء استعمال الحرية أو الوقوع في الخطأ، هى القدرة المتناهية المحدودة على التمييز بين الصواب والخطأ.

وفقاً لما سبق، فقد وضع ديكارت الإنسان في موضع المسؤولية، بصفة خاصة لأنه إذا كان الله قد وهبنا العقل والإرادة التى جعلها تتصرف بحرية، حتى إذا أخطأت ارتفعت مسؤولية الله عن الخطأ، وبالتالى فإن الخطأ، الناتج عن سوء استعمال الحرية هو علّة وقوع

---

(١) زكريا إبراهيم، مرجع سابق، ص ١٣١-١٣٣.
(٢) حربى عباس، مرجع سابق، ص ٥٨.

الإنسان في الحرمان، فلا مسؤولية على الله في ذلك، ولا شكوى من أنه لم يهبنا ذكاء كاملاً، وموهبة تامة، لأن عقول المخلوقات ذات طبيعة متناهية. ووفقاً لذلك، فالحرية موجودة مع وجود النعمة الإلهية التى لانستطيع أن ننفيها[١].

وفى الختام، يمكننا القول بأن حرية الاختيار، عند ديكارت، هى قدرة أنطولوجية تحتل مكانة أولى في نظام الحقائق الميتافيزيقية، وتسعى من بين مهامها إلى تخليص الإنسان من العبودية، لا من أجل تحقيق الحرية الكاملة. ولاشك أن حرية الإرادة والاختيار، عند ديكارت، كانت تمثل القاعدة الأساسية لتحقيق المساواة بين البشر[٢].

أما اسبينوزا، فقد اعتبر أن الله هو العلة الحرة لسائر الأشياء، وإن كان كل شئ يصدر عنه وفقاً لما في طبيعته من ضرورة. فما يحدث في الوجود إنما يصدر ضرورة عن طبيعة الله المطلقة وقدرته اللامتناهية.

فالإنسان الحر، في رأى اسبينوزا، هو الذى يعمل وفقاً لنصائح العقل، فلا يكون سلوكه ناجماً عن الخوف، بل يكون مبعثه الرغبة في الخير رغبة مباشرة[٣].

أما في عصر التنوير، والذى كان كانط على قمته، فقد اهتم اهتماماً رئيساً بحرية الفرد في عصر كان ينادى بالحرية للجميع – عصر الثورة الفرنسية، عصر "الحرية، والإخاء، والمساواة". فقد اعتبر كانط أن الحرية هى حق كل فرد في المجتمع بوصفه موجوداً بشرياً[٤].

وعلاوة على ذلك، قال كانط، "ليس هناك شئ يتطلبه التنوير قدر ما يتطلب الحرية. وإنما يتطلب من ضروب الحرية ذلك الضرب الذى يتصف بأنه أكثرها تجريداً وهو حرية استخدام العقل في كل الأمور". بصفة خاصة يطالب كانط برفع الوصاية عن المواطن لكى يستخدم عقله ويفكر تفكيراً حراً، فهو – وحده – الذى يستطيع أن ينشر التنوير بين الناس، لاسيما إذا ما عرفنا أن للفرد إرادة حرة، يستطيع أن يستخدمها بتوجيه عقله استخداماً سليماً.

وبالتالى، فالإنسان، في نظر كانط، من حيث ماهيته حر، وعليه أن يمارس هذه الحرية، بحيث يرفض جميع القيود، لاسيما تلك التى توضع على عقله وفهمه.

---

(١) راوية عباس، ديكارت والفلسفة العقلية، تقديم محمد على أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص ص ٤١٢/٤١٣.

(2) Quentin Skinner and Martin Van Gelderen: Freedom and the Construction of Europe, vol.11, Free Persons and Free States, Cambridge University press, 2013, p.65.

(٣) زكريا إبراهيم، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٤) إمام عبد الفتاح إمام، كانط والمرأة، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٢، ص ص ٥٩/٦٠.

ولاشك أن كانط قد استبعد في حديثه عن الحرية المرأة، فقد سلبها حقها في أن تكون مواطنة إيجابية تشعر بالحرية والمساواة والاستقلال، الأمر الذى يؤدى إلى القضاء على أى فرصة تساعد المرأة على النهوض بتفكيرها أولاً، ثم التقدم بالمجتمع ثانياً.

فالمرأة، في نظر كانط، غير قادرة (عاجزة) وفقاً للمعايير الذكورية. وبالتالى يرجع استبعاد المرأة عن الحياة السياسية بصفة عامة بناءً على أن الفضائل، التى تنسب للمرأة، تتعلق – كلّها– بالشئون المنزلية[١]. فضلاً عما تتسم به المرأة من ضعف سواء على المستوى الإنسانى أو الاجتماعى، وأن التفاوت بينها وبين الرجل هو تفاوت طبيعى، غير قابل للتغيير. ولا شك أن ذلك الرأي يعمل لصالح الرجل[٢].

- **الحرية الإنسانية بين الوجه السلبى والوجه الإيجابى**

تعود هذه الفكرة، في جذورها، إلى كانط، فقد ناقش الحرية الإيجابية والحرية السلبية وهى تهدف إلى التمييز بين المعنى السلبى والإيجابى لمصطلح الحرية.

فقد ناقش الحرية السلبية والإيجابية في سياق الحديث عن الفلسفة الاجتماعية والسياسية، وقد ناقش – أيضاً – علاقة الحرية بالإرادة في إطار الحديث عن الحرية الإيجابية، التى عادةً ما تتداخل مع البحث عن طبيعة الاستقلالية الذاتية.

تعرف الحرية السلبية بأنها عبارة عن غياب العوائق والقيود الخارجية أمام الفرد.

أما الحرية الإيجابية فهى إمكانية الفعل بطريقة يستطيع معها الفرد السيطرة على حياته وإدراك أهدافه الجوهرية، فالحرية الإيجابية تتحقق من خلال الجماعة[٣].

أما الحرية، في الفكر الفلسفى المعاصر والتى ظهرت مع بداية القرن العشرين، فقد ظهرت تيارات فلسفية متعددة منها : الوضعية المنطقية، والاتجاه المادى، والاتجاه الروحى، والاتجاه الوجودى، وغيرها من التيارات الفلسفية.

نظراً لكثرة المذاهب الفلسفية وصعوبتها، نخص بالذكر، في هذا الصدد، الحديث عن الفلسفة الوجودية[٤].

---

(1) Alison Assiter, Enlightened Women, Modernist Feminism in a Postmodern Age, London and New York, 1996, p.96.

(2) Allen W.Wood, Kant's Ethical Thought, Yale University, Cambridge University press, First Published 1999, p.258.

(3) Stanford Encyclopedia of Philosophy "Positive and Negative Liberty, First Published Thu Feb 27, 2003, Substantive revision, Tue Aug 2, 2016.

(٤) زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، الجزء الأول، مكتبة مصر ١٩٦٨، ص ١٠.

تؤمن الوجودية بأن للإنسان حرية كاملة، بل حرية مخيفة. وترى هذه المدرسة أن الإنسان لايكون أصيلا – أى إنساناً حقيقياً – إلا إذا كان شاعرا بهذه المسؤولية الكاملة وبكل ما تنطوى عليه من نتائج[١].

وبالتالى، فالمسؤولية تقع على عاتق الفرد وحده، فلا نخدع أنفسنا بالاعتقاد أننا نستطيع تجنب هذه المسؤوليه، التامة عن طريق محاولة إلقاء عبء الاختيار على أكتاف شخص آخر، ذلك لأن الاختيار هو اختيارنا وحدنا.

يعترف الوجودى بأن التحقيق الكامل لهذه الحرية، والشعور بمسئوليتنا الكاملة عن كل اختيار نقوم به، يبعث في نفوس معظم الناس ضيقا وقلقا شديدا.

والجدير بالذكر أن الإنسان لايستطيع الهروب من هذا "القلق الأخلاقى" باعتبار أن ليس الانشغال المعتاد هو الذى يخشى فيه الأشخاص ذوو الضمائر الحية من أن يرتكبوا خطأ، إنما هو شئ أعمق وأبعث على الخوف بكثير، إنه الشعور الدائم بأن كل اختيار له دلالته وأهميته، وبأن ذلك لايقتصر على الاختيار الأخلاقى فحسب، ذلك لأن كل اختيار يحمل في طياته مسئوليتنا الشخصية الكاملة، وبالتالى يصبح كل اختيار جزءا من تاريخنا وماهيتنا الدائمة.

من فلاسفة الوجودية جان بول سارتر، والذى كان يمثل الوجودية الملحدة، فقد رأى أن الإنسان قد حكم عليه بالحرية، والإنسان مضطر أن يكون حراً، فهو محكوم لأنه لم يخلق نفسه، وهو من ناحية أخرى، حر، لأنه، منذ الوهلة الأولى، وجد نفسه في هذا العالم مسئولاً عن كل ما يفعله[٢].

رابعاً - الحرية تُلزم المسؤولية:

القيم الإنسانية مختلفة، إن حريتنا تتطلب الاختيار، ولكن هذا الاختيار يكون في إطار المسؤولية المحكومة بالقيم والعقل.

بين الحرية والمسؤولية علاقة لايمكن تجاهلها، فلا مسؤولية دون حرية، ولا حرية بلا مسؤولية، ولاشك أن هذا المبدأ ليس – فقط – بشرياً أرضياً، بل هو جزء لا يتجزأ من منح

---

(١) هنترميد، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة فؤاد زكريا، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة – القاهرة، ص ص ٤٠٨/٤١٠.

(٢) جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنسانى، ترجمة كمال الحاج، دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، ١٩٨٣، ص ٥٤/٥٥.

ربِّ العالمين لخلقه الذين وهبهم حرية الاختيار مع تحمل المسؤولية عن اختياراتهم بما فيها أعظم قيم الإيمان، وهو الإيمان بالخالق العظيم.

إذا كانت الحرية فطرة لايمكن قهرها مهما بدت القيود، ولم يكن ضبطها بالقانون إلا نوعاً من الإعلان بأن للحرية حدودا وقيودا لايمكن تجاوزها، فإن المسؤولية هى الشق الآخر من استحقاقات الحرية، حين يتعين ذلك الميزان الضابط لحركة الإنسان وخياراته والمجتمع وقضاياه لتأتى المسؤولية استحقاقاً لحيز الإرادة الحرة.

إذن، فالحرية والمسؤولية عنصران أساسيان يشكلان جوهر الإنسان وماهيته، فإذا كانت الحرية تؤكد فردية الإنسان، فالمسؤولية هى التى تجعله يشعر بكيانه الاجتماعى والمسؤولية الأخلاقية والاجتماعية تجاه المجتمع(١).

نستنتج مما سبق، أن الأصل، في إيماننا بالحرية، هو شعورنا النفسى باستقلالنا في الفعل، وشعورنا الأخلاقى بتحملنا لمسؤولية أفعالنا، أعنى بزيادة أو نقص قيمتنا الأخلاقية بعد الفعل.

وبالتالى، فمسؤولية الإنسان لا تنفصل عن شعوره بأن حياته هى صنيعة يده، وأنه الأصل في أفعاله المحمودة والمذمومة معاً(٢).

وفى سياق الحديث عن الحرية والمسؤولية نطرح تساؤلاً : "هل تدخل الجنسية المثلية أو ما يعرف بالشذوذ الجنسى تحت بند الحرية الشخصية؟

بصفة عامة، إن إساءة استخدام الحرية هو من أكبر البواعث على انتشار الفوضى والفساد وذلك يرجع إلى غياب الضوابط الدينية، والأخلاقية، والاجتماعية.

ولاشك أن الحديث عن الجنسية المثلية من أكثر الظواهر السلبية، والتى تعد مثالاً واضحاً عن سوء استخدام الحرية، فهذه الظاهرة موجودة منذ القدم، وحتى الوقت الراهن، ولكننا قد سمعنا في الآونة الأخيرة بعض الأصوات التى تدافع عن الجنسية المثلية بل وتعتبر أن الاعتراف بها هو قمة الحرية في المجتمع متجاهلاً القيم والدين والأخلاق ومدى خطورة الشذوذ الجنسى على الأفراد والمجتمع(٣).

---

(1) Bernard Berofsky, Liberation from Self, A Theory of Personal Autonomy, 1995, p.69.

(٢) زكريا إبراهيم، مشكلة الحرية، ص ص ٤١/٤٢.

(3) Brian Whitaker, Unspeakable Love, Gay and Lesbian Life in Middle East, University of California press, 2011, pp.9/10.

تعرف الجنسية المثلية بالانجذاب الجنسى، أو الحسى، أو الشعورى بين أشخاص من الجنس نفسه ذكوراً كانوا، أم إناثاً[١].

دعونا نتفق أن هذه الظاهرة هى عملية مضادة للطبيعة، وهى انحطاط لإنسانية الإنسان. فضلاً عن مخالفتها لقواعد الأديان السماوية، والأعراف، والتقاليد الاجتماعية.

تكاد تكون الجنسية المثلية مرفوضة بل ومحظورة في العالم العربى، فرجال الدين يستنكرونها ويعتبرونها خطيئة، وكثيراً ما يشار إليها بأنها عمل مشين أو سلوك شاذ، ونتيجة لذلك لايعبر المثليون عن ميولهم علناً، ويبقون الأمر سراً.

على أية حال، تبقى المثلية ظاهرة شاذة وغير مقبولة، وبالتالى هذا الأمر يخرج عن كونه حرية شخصية، فكون هذه الظاهرة محظورة بل ومحرمة، أمر مسلّم به في عالمنا العربى ومجتمعاتنا الإسلامية[٢].

وفقاً لما سبق، يمكننا القول بأن صعوبة ممارسة الحرية تكمن في قدرة الإنسان على مجاهدة نفسه الأمارة بالسوء، فكلما ازداد شعور الإنسان بحريته – ازداد شعوره بإنسانيته. إذن قمة الحرية هى قدرة الإنسان على إلجام نفسه، ليحكمها بدلا من أن تحكمه[٣].

---

(1) David Greenberg, The Construction of Homosexuality, University of Chicago press, 1988, p.165.

(2) Ibid, p.11.

(٣) زكى نجيب محمود، عن الحرية أتحدث، دار الشروق، ط١، ١٩٨٦، القاهرة، ص ١٩.

الخاتمة:

لاشك أن الإنسان هو تاج الخليقة، وبطل الرواية الكونية، وأن الله سبحانه وتعالى قد اختصه بالعقل، الذى جعله موجوداً متميزاً عن سائر الموجودات فهو أصل هذا الكون، وكائن من كائناته.

وبالتالى، فالإنسان ليس كتلة هلامية سلبية تشكلها الحتمية أو الضرورة. لكنه إنسان يمتلك إرادة واعية وحرة يستطيع توجيهها نحو كل ما هو إيجابىً.

لقد لاحظنا، في الآونة الأخيرة، خلطاً خاطئاً بين مفهوم الحرية ومفهوم الفوضى.... فلا يمكن أن يكون مفهوم الحرية أن تفعل كل ما يحلو لك، وفى أى وقت تشاء وبما يحقق رغباتك ومصالحك الشخصية فقط حتى لو تعارض ذلك مع رغبات ومصالح الآخرين، لأن هذا النوع من الحرية المطلقة وغير المسؤولة سيؤدى إلى انتهاجك سلوكاً فوضوياً وعشوائياً تعتدى به على حرية الآخرين.

وبالتالى، فالحرية الحقيقية هى التى تراعى مشاعر الآخرين، وتحترم عاداتهم وتقاليدهم وخصوصياتهم في سياق الدين والقيم والأخلاق.

أخيراً، نطرح تساؤلاً رئيساً: "كيف يمكن تصحيح المنظور الخاطئ للحرية؟"

الإجابة تتضمن ما يلى :

١- بصفة عامة يحتاج أفراد المجتمع إلى التوعية بمفهوم الحرية السليمة، وتوضيح حدود هذه الحرية بالنسبة للأفراد وبالنسبة للمجتمع ككل، وذلك من خلال عقد المحاضرات والمؤتمرات التى تبين حقوق الأفراد وما عليهم من واجبات والتزامات.
٢- توعية الأبناء، منذ الصغر، ألا يتعدَّوا حقوق وحريات الآخرين سواء من خلال التربية أو من خلال المدارس.
٣- دور الإعلام والمؤسسات الاجتماعية في توضيح مفهوم الحرية الحقيقية وضوابطها وحدودها.
٤- تطبيق القوانين، وفرض العقوبات الصارمة على من يحاول اختراقها أو يتعدَّى حدوده ويعتدى على حريات البشر.

قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية

أولاً - المصادر المترجمة إلى العربيـة:

١- جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنسانى، ترجمة كمال الحاج، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، ١٩٨٣.

ثانياً - المراجع العربيـة:

١- إمام عبد الفتاح إمام، كانط والمرأة، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٢.

٢- حربى عباس عطيتو، الفلسفة، قضاياها ومشكلاتها، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٨.

٣- راوية عباس، ديكارت والفلسفة العقلية، تقديم محمد على أبو ريان، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية، د ت.

٤- زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، الجزء الأول، مكتبة مصر، ١٩٦٨.

٥- -------، مشكلة الحرية، مكتبة مصر، الفجالة، ط١، ١٩٥٧.

٦- زكى نجيب محمود، عن الحرية أتحدث، دار الشروق، ط١، القاهرة، ١٩٨٦.

٧- سليم ناصر بركات، مفهوم الحرية في الفكر العربى الحديث، ط٢، دار دمشق، بيروت، ١٩٨٤.

٨- محمد عبد الوهاب خفاجى وآخرون، حقوق الإنسان، دار الكتب، ط٢، الإسكندرية، ٢٠٠٦.

٩- محمود مراد، الحرية في الفلسفة اليونانية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٩٧.

١٠- نبيهة قاره، الحتمية والحرية بين الميتافزيقا والحياة، مركز النشر الجامعى، الجمهورية التونسية، ٢٠٠٣.

١١- يمنى طريف الخولى، الحرية الإنسانية والعلم، "مشكلة فلسفية"، ط١، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٩٠.

ثالثاً - المراجع المترجمة إلى العربية :

١- هنترميد، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة فؤاد زكريا، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة – القاهرة.

رابعاً - المعاجم العربية :

١- جميل صليبا، المعجم الفلسفى، المجلد الأول، دار الكتاب اللبنانى، ط ١٠، بيروت.

٢- كون ايغور، معجم علم الأخلاق، ترجمة توفيق سلوم، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٤.

خامساً - المراجع الإلكترونية العربية :

١- زهير الخويلدى، الحوار المتمدن، الحرية بين المعتقد والضمير "مقاربة فلسفية، ٢٠١٤.

سادساً - المراجع الأجنبية :

1- Alison Assiter, Enlightened Women, Modernist Feminism in a Postmodern Age, London and New York, 1996.

2- Allen W.Wood, Kant's Ethical Thought, Yale University, Cambridge University press, First Published 1999.

3- Benoit Smullyan, History of Political Theory, Part 1 – Plato to Locke, Hymarx, Student Outlines Company, Boston.

4- Bernard Berofsky, Liberation from Self, A Theory of Personal Autonomy, 1995.

5- Brian Whitaker, Unspeakable Love, Gay and Lesbian Life in Middle East, University of California press, 2011.

6- Charlene Li, Josh Bernofff, Groundswell expanded and revised edition winning in a world transformed by social technologies, United States of America,2011.

7- David Greenberg, The Construction of Homosexuality, University of Chicago press, 1988.

8- Goldberg Robert, Democracy and Justice in Aristotle's Politics, University of Toronto, 1990.

9- Martin, Thomas, Democracy in The Politics of Aristotle, Cambridge University press, 2003.

10- Quentin Skinner and Martin Van Gelderen, Freedom and the Construction of Europe, vol.11, free persons and Free states, Cambridge University press, 2013.

11- T.D.J.Chappell, Aristotle and Augustine on Freedom {Two Theories of Freedom, Voluntary Action and Akrasia} first published in Great Britain 1995 by Macmillan press Ltd, United States of America, New York,1995.

سابعاً - الموسوعات الأجنبية:

1- Concise Routledge Encyclopedia of Philosophy, Routledge, London and New York, first published, 2000.

2- G.H.R.Parkinson, An Encyclopedia of philosophy, Associate Editors, T.E.Burke, J. G. Cottinghom, M. A. Proudfoot, J. E. Tiles, Routledge, 1988.

3- Paul Edwards, The Encyclopedia of Philosophy, Collier Macmillan, London New York, 1967.

ثامناً - المراجع الإلكترونية الأجنبية :

1- Stanford Encyclopedia of Philosophy "Positive and Negative Liberty, First Published Thu Feb 27, 2003, Substantive Revision, Tue Aug 2, 2016.